معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (10)

التاريخ: الخميس 28/ذو الحجة/1440 هـ

29/أغسطس(آب)/2019 م

قال المؤلف رحمه الله:

(القاعدة الرابعة:

الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال).

الصفات الثبوتية التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب أو السنة؛ **صفات مدح وكمال**؛ لا شكّ في ذلك؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلّا صفات الكمال، فأي صفة يثبتها لنفسه في الكتاب والسّنة فهي صفة كمال وصفة مدح، يعني: يُمدح بها من وُصف بصفات الكمال.

قال: (**فكلمّا كَثُرَت وتنَوَّعَت دِلالالتها؛ ظهر من كمال الموصوفِ بها ما هو أكثر**)

أي: كلما كثرت وتنوَّعت دلالات هذه الصفات الثبوتية؛ أي: ما تدلّ عليه من معنى؛ ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر؛ لأنّ هذه الصفات الثبوتية صفات كمال، فإذا كَثُر ما تدُلُّ عليه؛ دلّت على عظم كمال من وُصف بها.

قال: (**ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه؛ أكثر بكثير من الصفات السلبية؛ كما هو معلوم**)

لا شكّ، ومن تأمل كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ؛ فسيجد تفصيلاً كثيراً في وصف الله سبحانه وتعالى لنفسه بالصفات الثبوتية على وجه التفصيل؛ لأنّ إثبات هذه الصفات له تبارك وتعالى يدلّ على المدح وعلى كماله سبحانه وتعالى، وهذا بخلاف الصفات السلبية؛ فإنك تجد طريقة القرآن فيها أن يُذكر السَّلْبَ بطريقة مجملة وليس طريقة مفصلة؛ بخلاف الصفات الثبوتية التي يأتي الإثبات فيها بطريقة مفصلة؛ يثبت العلم، يثبت الحياة، يثبت القدرة... إلى آخره من صفات؛ لأنّ إثبات هذه التفصيلات هو كمال لله تبارك وتعالى، فالصفات الثبوتية التي تليق بالله سبحانه وتعالى كلّها تدلّ على كماله سبحانه وتعالى، بينما الصفات السلبية؛ هذه في الغالب يأتي ذكرها إجمالاً؛ مثل قوله تبارك تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾[1]؛ لا يُفصّل الصفات

---

[1] - [الشورى:11]

تفصيلاً إلّا لحاجة سيأتي ذكر بعضها؛ مثلاً عندما تكون هناك تهمة يُتهم ربنا سبحانه وتعالى بها؛ فالله سبحانه وتعالى يزيلها بالتفصيل؛ بذكر نفي تلك الصفة، كما وصفه اليهود بالبخل مثلاً؛ فجاء بتفصيل نفي هذا الأمر، كذلك ينفي عن نفسه التعب لدعوى اليهود؛ وهكذا، فالصفات السلبية لا يُفصّل الله سبحانه وتعالى بنفيها إلّا لحكمة معينة، وإلّا ؛ فالغالب عندما يريد أن ينفي؛ فإنه ينفي بشكل مجمل؛ كما سيأتي الكلام إن شاء الله.

قال المؤلف: (**ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم**)؛

ثم قال:

(**أمّا الصفات السلبية؛ فلم تُذكر غالباً إلّا في الأحوال التالية**)

فالأصل عندنا إذا تأملنا أدلة الكتاب والسّنة أن نجدها كلّها تتحدث عن الصفات الثبوتية، وأما الصفات السلبية فتذكر في الأحوال التالية:

قال: (**الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: {ليس كمثله شيء}، وقوله: {ولم يكن له كفواً أحد}**[1])

يعني: إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين أنّه كامل بشكل عام تام؛ يذكر هذه الصفات السلبية وينفيها؛ ينفي عن نفسه ما فيه نقص؛ فيقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾؛ هو نفي للماثلة؛ فلا يماثله أحدٌ لكماله تبارك وتعالى،

وكذلك قال: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾؛ فهذا نفي مجمل عام تام، فإنه لا يتحدث عن صفة معينة دون صفة؛ بل يتحدث بشكل عام أنّه ﴿ليس كمثله شيء﴾؛ فليس هناك مماثل له، وليس له كفؤ- مكافئ له-؛ بنفس معنى: أنّه ليس له مثيل وليس له مساوٍ أبداً؛ فيذكر هذا لبيان عموم كماله؛ هذا السبب الأول الذي يجعله يأتي بنفي الصفات السلبية.

أمّا الأمر الثاني؛

فقال المؤلف: (**الثانية: نفي ما ادَّعاه في حقّه الكاذبون**)

---

[1]- [الإخلاص:4]

في مثل هذا الموطن يأتي بنفي مفصل وليس مجملاً، فالمجمل يذكره لبيان عموم كماله، وأما إذا أراد نفي ما ادعاه في حقّه الكاذبون كاليهود وغيرهم؛ فيأتي بنفي مفصل.

قال: (**كما في قوله: {أَنْ دَعَوْا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً}**[1])

فهنا نفى عن نفسه الولد؛ صفة خاصة نفاها عن نفسه؛ وهي صفة سلبية؛ لماذا نفى هذه الصفة خصوصاً؟

لأنّ بعض اليهود والنصارى وغيرهم ادعوا أنّ الله سبحانه وتعالى له ولد، فأراد أن يردّ عليهم أكاذيبهم هذه؛ فذكر هذا النفي المفصل.

قال المؤلف رحمه الله: (**الثالثة: دَفْعُ تَوَهُّمِ نقصٍ من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين}**[2])

دفع توهم نقصٍ من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين؛ يعني: ربّما يخطر على بال شخص أمراً فيه نقص لكمال الله تبارك وتعالى، فكي يزيل الله سبحانه وتعالى هذا التوهم؛ يأتي بالنفي المفصَّل، كما في قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾؛ يعني: لا تظنن أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق السماوات والأرض لمجرد اللعب، لا؛ الله سبحانه وتعالى يخلقهما لحكمة وحكمة عظيمة؛ فهو لا يفعل شيئاً إلّا لحكمة، لا يفعل شيئاً عبثاً؛ هذا الذي أراد أن يثبته؛ فنفى عن نفسه الفعل للعب.

قال: (**وقوله: {ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيامٍ وما مسنا من لغوب}**[3])

يعني: من تعب، فنفى عن نفسه هنا التعب والإعياء، فمع عِظَمِ خلق السماوات والأرض؛ ولكنّ الله سبحانه وتعالى لا يتعب؛ لكمال قوته وقدرته تبارك وتعالى.

وهذا نفي مفصَّل أراد الله سبحانه وتعالى أن يزيل به توهم النقص من كماله تبارك وتعالى.

وفيه ردّ أيضاً على بعض الكذابين كاليهود وغيرهم؛ لذلك يأتي النفي المفصل؛ وإلّا فالأصل الغالب الأعظم عندنا هو أن تأتي الصفات ثبوتية، وأحياناً تأتي سلبية، وأكثر الصفات السلبية

---

[1]- [مريم: 91،92]

[2]- [الأنبياء:16]

[3]- [ق:38]

تأتي مجملة لا مفصلة، وتأتي أحياناً مفصلة لما ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله:

(القاعدة الخامسة:

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية)

هذه قاعدة مهمة وهي تقسيمات لتقريب الفهم.

الصفة الثبوتية التي أثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه في الكتاب والسّنة قسّمها العلماء إلى قسمين: ذاتية وفعلية، ثم عرّفها المؤلف فقال:

(فالذاتية: هي التي لم يزلْ ولا يزالُ مُتَّصِفَاً بها)

(لم يزل): أي؛ لم يزل الله سبحانه وتعالى متَّصِفاً بها في الماضي؛ كالعلم مثلاً؛ لم يجيء وقت ماضٍ الله سبحانه وتعالى لا يعلم فيه شيئاً أو لا يعلم بعض الشيء؛

وكذلك (لا يزال) في الحال وفي المستقبل أيضاً؛ فالله سبحانه وتعالى متصف بصفة العلم دائماً، فهذه الصفة؛ صفة العلم ملازمة للذات، لا تنفكُّ عنها في الماضي وفي الحال وفي المستقبل؛ هي موجودة بوجود الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى دائماً موجود، وهذه الصفة أيضاً دائماً موجودة مع الله سبحانه وتعالى لا إله إلّا هو.

قال: (كالعِلْمِ، والقُدْرَة، والسَّمْعِ، والبَصَرِ، والعِزَّة، والحِكْمَةِ، والعُلُوِّ، والعَظَمَة)

كلّها تسمى صفات ذاتية.

قال: (ومنها الصفات الخَبَرِيَّة: كالوجه واليدين والعينين)

إذن الصفة الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

ذاتية وفعلية

والصفة الذاتية تنقسم إلى قسمين:

معنويَّة وخبريَّة

ويمكن أن ترسم لها شجرة ليَسْهُل عليك الفهم؛ ضع عندك في الأعلى كلمة: صفات ثبوتية، ثم

أنزل خطين الخط الأول اكتب عنده صفات ذاتية وعند الخط الثاني اكتب فعلية، ثم الصفات الذاتية أيضاً تُنْزِلُ منها خطين؛ فتكتب عند الخط الأول معنوية وعند الخط الثاني خبرية؛ لأنّ الصفة الثبوتية الذاتية تنقسم إلى قسمين، معنوية وخبرية،

هذا التقسيم الذي عندنا هو الذي ذكره أهل العلم، والمؤلف رحمه الله ذكر في المتن تقسيماً أولياً فقال: (**الصفة الثبوتية تنقسم إلى ذاتية و فعلية**)، وأخَّرَ الكلام عن الفعلية؛ فقال:

(**فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزّة والحكمة والعلوّ والعظمة**)؛

هذا التمثيل الذي ذكره إلى كلمة (**والعظمة**)؛ هو تمثيل على الصفة الذاتية المعنوية؛ لذلك لمّا بدأ يمثل على الخبرية قال:

(**ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين**)؛

إذاً صار عندنا:

- الصفة الذاتية تنقسم إلى قسمين: معنوية وخبرية،
- ومثّل على المعنوية بالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزّة والحكمة والعلوّ والعظمة،
- ومثّل على الخبرية بالوجه واليدين والعينين،

- إذاً من خلال الأمثلة يتبين لنا أنّ الصفة الذاتية المعنوية هي التي تدلّ على معنىً كالعلم مثلاً؛ معنى من المعاني، العلم، القدرة، السمع، البصر؛ هذا كلّه معنى.
- أمّا إذا كان نظيره (مثله) مثل مسماه، يعني اسم اليد- يد الله- اسم اليد هو نظير اسم اليد للإنسان- كاسم فقط-؛ هذه اليد بالنسبة للإنسان هي جزء وبعض منه؛ مثل هذا يُقال لها صفة ثبوتية ذاتية خبرية؛ هذا ضابطها:

ما كان نظير مسمَّاه أبعاضاً لنا، (**ما كان نظير مسماه**)؛ اسم اليد مثل اسم اليد التي عندنا، وهذه اليد التي عندنا هي أبعاض و أجزاء بالنسبة لنا؛ وهذا التعبير لا يجوز في حقّ الله؛ لذلك قرّبنا المعلومة بهذا الضابط؛ هي أبعاض و أجزاء بالنسبة لنا؛ فمثل هذه يسمونها: صفة ذاتية خبرية؛ لأنّها موقوفة على الخبر، فلا يمكن أن تثبتها و تعرفها إلّا بالخبر فقط؛

بينما المعنوية ربّما يدركها العقل بالآثار التي يراها أمامه؛ فإذا رأى خلق السماوات والأرض؛

يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى: عليم، وأنّ الله سبحانه وتعالى: قوي، وأنه قدير؛ من خلال ما يرى من آثار أمامه، فربّما يدركها بعقله؛ هذه المعنوية؛ لذلك سميت معنوية،

أمّا الخبرية فهذه لا تدركها إلّا بالخبر فقط؛ لله يد، له وجه، له عينان؛ لا يمكن أن تدرك هذا إلّا بالأخبار، فإذا جاء الخبر بها؛ آمنت وصدّقت بها، وكذلك المعنوية أيضاً لا تثبتها إلّا بالإخبار؛ مع أن العقل يدركها؛ هذا معنى ما ذكره المؤلف هنا في الصفات الذاتية.

إذاً عندنا الصفات الثبوتية الذاتية تنقسم إلى معنوية وخبرية.

وذكر المؤلف أمثلة على المعنوية وأمثلة على الخبرية، وذكرنا لكم الضابط الذي به تعرف المعنوية من الخبرية.

ثم انتقل المؤلف إلى الصفات الثبوتية الفعلية؛ فقال:

قال: (**والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته**)

أي مشيئة الله سبحانه وتعالى.

قال: (**إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا**)

الاستواء والنزول والمجيء والإتيان؛ هذه كلّها صفات فعلية؛ يفعلها الله سبحانه وتعالى متى شاء، ويترك فعلها متى شاء؛ هذا هو ضابط الصفة الفعلية؛ كالاستواء على العرش: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] ففعل هذا الفعل متى شاء، كذلك النزول إلى السماء الدنيا؛ "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر"[2]؛ لأنّه أراد أن ينزل في هذا الوقت فنزل سبحانه وتعالى؛ إذاً هذه تسمى صفة فعلية.

قال: (**وقد تكون الصِّفة: ذاتية فعلية باعتبارين**)

أي بالنظر إلى أمرين؛ تكون من جهة ذاتية ومن جهة أخرى فعلية؛ متى هذا؟

قال: (**كالكلام**)

هذا مثال؛ أي: ككلام الله سبحانه وتعالى.

قال: (**فإنّه باعتبار أصله: صفة ذاتية**)

---

[1]- [طه:5]

[2]- أخرجه البخاري(1145)، ومسلم (758) عن أبي هريرة

يعني إذا نظرت إلى أصل الكلام لا إلى آحاده؛ يعني إلى أصل الصفة؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على الكلام متى شاء ويتكلم بما شاء، فأصل القدرة على هذا الفعل الذي هو الكلام؛ صفة ذاتية من هذا الاعتبار؛ أي من هذا الجانب.

قال: (**لأنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً**)

فالضابط أنه عز وجل لم يزل ولا يزال فاعلاً؛ متكلماً، لم يزل ولا يزال متصفاً بهذه الصفة.

قال: (**وباعتبار آحاد الكلام: صفة فعلية**)

آحاد الكلام؛ أي: كلام معين؛ مثل تكليمه لموسى عليه السلام عند الطور؛ فكلامه لموسى في ذاك الوقت؛ يسمى آحاد الكلام، كذلك مثل تكلم الله سبحانه وتعالى بالقرآن؛ الآيات آية آية؛ هذه آحاد الكلام.

فإذا نظرنا إلى هذا، لا إلى أصل الصفة؛ فهو صفة فعلية.

لماذا؟

قال: (**لأن الكلام يَتَعَلَّقُ بمشيئته؛ يتكلم متى شاء بما شاء**)

أي: لأنّه يتكلم متى شاء، ويترك الكلام متى شاء؛ فبهذا الضابط هو صفة فعلية؛ لأنّ ضابط الصفة الفعلية ينطبق على آحاد الكلام، وضابط الصفة الذاتية ينطبق على أصل الكلام؛ على الصفة.

قال: (**كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1]. وكلّ صفة تعلقت بمشيئته تعالى؛ فإنّها تابعة لحكمته**)

يعني الله سبحانه وتعالى عندما يفعل الفعل يفعله لحكمة، لا يفعل الشيء عبثاً، كما جاء في خلق السماوات والأرض الذي تقدم؛ خلق السماوات والأرض لكن لا لعباً، لا عبثاً؛ وإنّما خلق السماوات والأرض لحكمة، كذلك خلق الإنسان ولم يتركه سدى، لأنّه لم يخلقه عبثاً وإنّما خلقه لحكمة، وهكذا أفعال الله، عندما يتكلم الله سبحانه وتعالى يتكلم لحكمة، عندما ينزل ينزل لحكمة، عندما يستوي على عرشه يستوي لحكمة؛ وهكذا، هذا مقصود المؤلف.

قال: (**وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها**)

---

[1]-[يس:82]

يعني لا يشترط كي نُثْبِتَ الحكمة أن نعلمها، نحن نثبت أنّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئا إلّا لحكمة؛ لكن هل هذه الحكمة ظاهرة لنا؟

ربّما تظهر لنا في بعض الأحيان ولا تظهر في أحيان أخرى.

قال: (**لكننا نعلم علم اليقين أنّه سبحانه لا يشاء شيئاً إلّا وهو موافق للحكمة**)

عندنا يقين بهذا ما عندنا شك فيه.

قال: (**كما يشير إليه قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}**[1])

يعني كلّ شيء يمضي بمشيئة الله سبحانه وتعالى، ومشيئته على حسب علمه وحكمته تبارك وتعالى وليس عبثاً.

وهذا فيه ردّ على الأشاعرة الذين يقولون: الله سبحانه وتعالى يفعل لغير حكمة؛ لمجرد أنّه أراد؛ هكذا يقولون؛ يقولون: مجرد أنّه يريد الشيء يفعله فقط، ليس عندهم أنّ الله سبحانه وتعالى يفعل الأشياء لحكمة.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁.

[1]- [الإنسان:30]